

ميزان الحق

المكان: طهران

المناسبة: ميلاد الإمام علي عليه السلام

الحضور: جمع غفير من أهالي محافظة بوشهر

الزمان: ١٣٨٩/٤/٥ هـ ش ١٣/٧/١٤٣١هـ ق ٢٦/٦/٢٠١٠ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أبارك هذا العيد السعيد لكل الإخوة والأخوات الأعزاء البوشهريين. لقد قطعتم مسافةً طويلة، وفوحتم حسينيتنا بأنفاسكم المعطرّة المنبعثة من القلوب الموالية.

إن الذكرى الموجودة في ذهن تاريخنا عن أهالي بوشهر هي ذكرى ساطعةٌ جداً وباعثةٌ على الافتخار. مثلما أشار إمام الجمعة المحترم^(١) - الذي هو بحمد الله عالمٌ نجيب - أن لبوشهر تاريخٌ لامعٌ ويعد مفخرة. فأهالي تلك المنطقة الشجعان والمؤمنون استطاعوا مرّات ومرّات أن يفرضوا على عدو هذا البلد وهذا الشعب التراجع وتغلّبوا عليه.

وإن أسماء علماء بوشهر المشهورين الذين ذكرهم وهم وجوهٌ معروفةٌ يعتبرون بحق من الأسماء الساطعة في سلك علماء الشيعة.

(١) حجة الإسلام والمسلمين صفائي بوشهري.

أما اسم القائد المؤمن والشجاع كالشهيد رئيسعلي دلواري^(١) فهو من الأسماء التي لا زالت تجذب قلوب المؤمنين الذين تعرّفوا على أحواله وجهاده في مختلف أرجاء البلد. وإننا شاكرون الله أنه بعد انتصار الثورة، هذا الاسم الذي كان يُسعى لإخفائه وإبقاء وجهه مجهولاً قد تردّد على الألسنة، فُعرف ومُدحت شخصيته وتعرّف الجميع على مظلوميته وشهادته الممتزجة بهذه المظلومية، وفهموا ما جرى. ولا شك بأن يومنا هذا يختلف كثيراً عن تلك الأيام. ففي ذلك اليوم كان هناك عدّة معدودة مع شاب شجاع اضطروا أن يقاوموا القدرة الاستعمارية والإستكبارية لبريطانيا بمظلومية؛ ولكن اليوم أمثال رئيسعلي دلواري ليسوا بقليلين ولم يكونوا لوحدهم. فها هم شبابنا الأعزاء والمضحون، وهؤلاء التعبويون في ميدان القتال العسكري والمواجهة الثقافية والسياسية، إنهم اليوم في أرجاء البلاد منتشرون، وباليقين فإن بوشهر هي من تلك المناطق التي ينشأ فيها أمثال هؤلاء ويزدادون. لا أنسى السفر الذي قمت به قبل عدة سنوات إلى بوشهر. فإنني شاهدت عن قرب ورأيت بروز تلك الروحية الإيمانية العميقة ظاهرة في الناس. وأنتم اليوم تظهرون هذه الروحية أيضاً.

وليعلم الجميع واعلموا أنتم أيها الشباب الأعزاء أنّ الزمن قد تبدّل. فقد انقضى ذلك اليوم الذي كانت القوى قادرة على تهديد شعوب هذه المنطقة

(١) الشهيد رئيسعلي دلواري: كان قائداً شجاعاً وبطلاً باسلاً قاد ثورة الجماهير في منطقة تنكستان التابعة لمدينة بوشهر ضد الانجليز حتى نال الشهادة في يوم ١ شباط قبل ٩٤ عاماً مضرّجا بدمه ليفتح الطريق أمام الثوار والأحرار لمواصلة السير للانعقاد من العبودية والحصول على الحرية والاستقلال.

كما يحلو لها وتحقيرها؛ وكلما أرادوا يأتون بقواتهم ويمارسون الضغوط. فشب إيران اليوم قد عُرف في العالم كله أنه شعبٌ مقتدر. والقضية ليست قضية المال ولا السلاح ولا وسائل الإعلام التي يمتلك أعداؤنا منها ألف ضعف مما نمتلكه؛ القضية هي قضية الإيمان والعزم الراسخ والبصيرة وإدراك الشعب لشأنه وموقعيته وحقه. لقد تكشفت أيادي القوى المستكبرة. ومع كل الدعاية التي يقومون بها وبكل هذه الوسائل الإعلامية الحديثة الموجودة في أيديهم وزعمهم بأنّ الرأي العام العالمي في قبضتهم، فإنّه يوماً بعد يوم تتسافل سمعة هذه القوى - وعلى رأسهم أمريكا - بين الشعوب أكثر فأكثر، ويُفتضحون أكثر، وتبلور أكثر قدرة صمود الشعوب ونهضة القوى الشعبية. فالمستقبل لكم وهو متعلّق بكم. والاقترار الحقيقي حق شعب إيران ومتعلّق بشعب إيران؛ ولا يمكن لأي أحد أن يصرفه عن هذا الطريق الذي انتهجه.

حسناً، إن اليوم هو يوم عيد كبير؛ وهو يوم ولادة شخصية لا نظير لها في تاريخ البشرية؛ حيث أننا لا نعرف بعد قدسية وجود خاتم الأنبياء ﷺ أي إنسان بلغ عظمة شخصية أمير المؤمنين. ويجب اليوم أن نأخذ عيديتنا؛ وعيديتنا هي في أن نأخذ الدرس والعبرة.

إن شخصية أمير المؤمنين ﷺ ومنذ ولادته وإلى حين شهادته كانت شخصيةً استثنائيةً في جميع هذه المراحل. فولادته كانت في جوف الكعبة - حيث أنه لم تحدث قبله ولا بعده - وشهادة هذا الإنسان العظيم كانت في المسجد وفي محراب العبادة. وبين هاتين النقطتين كانت كل حياة أمير

المؤمنين ﷺ جهاداً وصبراً لله و عرفاناً وبصيرةً و حركةً على طريق رضا الله. وفي بداية طفولته أودعت يد التدبير الإلهي علي بن أبي طالب حضن النبي. فقد كان أمير المؤمنين ﷺ يبلغ ست سنوات حينما جاء به النبي من بيت أبي طالب إلى بيته. فتربى أمير المؤمنين في حضن النبي وتحت ظله. وأثناء نزول الوحي على النبي كان هو الشخص الوحيد في جنب النبي في غار حراء وفي تلك اللحظات الحساسة، «ولقد كنت أتبعه إتباع الفصيل أثر أمه»^(١).. كان يتبع النبي ولا ينفصل عنه دوماً، ويتعلم منه دائماً. وهو نفسه يقول في نهج البلاغة في الخطبة القاصعة: «ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة، فقال: هذا الشيطان قد آيس من عبادته»، ثم قال له النبي ﷺ: «إنك تسمع ما اسمع وترى ما أرى». فهذا القرب الذي كان لأمير المؤمنين من النبي تحقق منذ مرحلة الطفولة. ففي مرحلة الطفولة آمن بالنبي، وصلّى معه، وجاهد معه، وضحّى من أجله. وطوال حياته، سواء في حياة النبي، أو بعد رحيله، في المراحل المختلفة، بذل كل جهده من أجل إقامة الحق وإقامة دين الله وحفظ الإسلام. ويقول النبي الأكرم، إن أمير المؤمنين كان ميزان الحق. وقد نُقل بطرق السنة والشيعة: «علي مع الحق والحق مع علي يدور حيثما دار»؛ فإذا كنتم تريدون الحق فانظروا إلى علي أين يقف، وماذا يفعل، وإلى أين يشير. هكذا كانت حياة أمير المؤمنين.

يجب أن نقرأ نهج البلاغة ونتعلم منه. وفي العصر الأخير تعرّف الكثير من المفكرين والعلماء غير المسلمين - وليس المسلمين فقط - تعرّفوا إلى نهج

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٢.

البلاغة؛ وقرأوا كلمات أمير المؤمنين وشاهدوها وسمعوا الحكم المجسّمة من هذه الكلمات وتعلّموا منها ودّهشوا من عظمة هذا الكلام وصاحبه. وعلينا أن نتوجّه إلى نهج البلاغة أكثر من هذا. وعلينا أن نتعلّم منه أكثر؛ فينبغي أن نستفيد أكثر من هذا البحر الزخار لحكمة أمير المؤمنين؛ فإنه يبيّن جميع أبعاد المسؤولية ويعلمنا جميع الدروس. ولعلماء أهل السنة الكبار تعابير بشأن هذه الكلمات تجعل المرء مدهوشاً. فأمر المؤمنين ليس للشيععة فقط، فإن كل أهل الإسلام وكل أولئك الذين يعيش حب الإسلام في قلوبهم يشاهدون علي بن أبي طالب (عليه السلام) في قمة العظمة العلمية والمعنوية والأخلاقية والإنسانية والإلهية.

فحياة أمير المؤمنين كلها درسٌ. من بين ما يشاهده المرء من سلوكيات أمير المؤمنين - التي تشمل جميع الخصال الحسنة للإنسان وللحاكم - فإن أسمى هذه الخصائص ليومنا هذا هي قضية التبصرة وإعطاء البصيرة لأولئك الذين يحتاجون إليها؛ أي تبيين الأجواء وتوضيحها. ففي جميع المراحل كانت هذه الشجاعة اللامتناهية وهذه التضحية العظيمة من أجل توعية الناس وإضفاء العمق على تفكيرهم وإيمانهم. ففي معركة صفين عندما كان الطرف المقابل يشعر بأنه سيهزم، ولأجل أن يوقف الحرب رفع المصاحف على الرماح، فجاء عدّة إلى أمير المؤمنين وضغطوا عليه حتى يسلم ويوقف الحرب، وطرحوا قضية القرآن. وكان عملاً تزويرياً، عجبياً. فخطأهم أمير المؤمنين وقال لهم أنكم لا تعلمون. فالذين يعرضون القرآن اليوم كحكم لا يعتقدون به. فإنني أعرفهم: «إنني عرفتهم أطفالاً ورجالاً»، أي أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان قد شاهدتهم في

طفولتهم وعندما كبروا: «فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال»، فإنهم لم يؤمنوا بالقرآن فإذا ضاقت عليهم الأرض أبرزوا القرآن. لكن هؤلاء لم يستمعوا وأصروا حتى حلت تلك الخسارة بعالم الإسلام.

إن أمير المؤمنين هو أهل التبصرة. ونحن اليوم بحاجة إلى هذه البصيرة. اليوم إن أعداء العالم الإسلامي وأعداء الوحدة الإسلامية نزلوا إلى الميدان من خلال الوسائل الدينية والوسائل الأخلاقية؛ فينبغي الحذر. فعندما يريدون أن يخدعوا الرأي العام غير الإسلامي يأتون على اسم حقوق الإنسان والديمقراطية؛ وعندما يريدون خداع الرأي العام الإسلامي يأتون باسم القرآن والإسلام؛ في حين أنهم ما آمنوا، لا بالإسلام ولا بالقرآن ولا بحقوق الإنسان. فعلى الأمة الإسلامية أن تعرف هذا. وإن شعب إيران وطوال هذه السنوات الثلاثين اختبرهم، وعلينا جميعاً أن ندرك هذا.

فأمير المؤمنين في تلك اللحظة من الخداع والفتنة أشار إلى أصحابه قائلاً: «امضوا على حقكم وصدقكم»^(١). فلا تتركوا هذا الطريق الحق وهذه الحركة

(١) «امضوا على حقكم وصدقكم»: مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِلْخَوَارِجِ حِينَ رَجَعَ إِلَى الْكُوفَةِ وَهُوَ بظَاهِرِهَا قَبْلَ دُخُولِهِ إِيَّاهَا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا مَقَامٌ مِنْ فُلُجٍ فِيهِ كَانَ أَوْلَى بِالْفُلُجِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ نُطِفَ فِيهِ أَوْ عَنَتَ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا نَشَدْتَكُمْ بِاللَّهِ أَنْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ حِينَ رَفَعُوا الْمَصَاحِفَ فَقَلْتُمْ نَجِيهِمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ بِالْقَوْمِ مِنْكُمْ إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَصْحَابِ دِينٍ وَلَا قُرْآنٍ إِنِّي صَحَبْتُهُمْ وَعَرَفْتُهُمْ أَطْفَالًا وَرَجَالًا فَكَانُوا شَرًّا أَطْفَالًا وَشَرًّا رَجَالًا امضُوا عَلَى حَقِّكُمْ وَصَدِّقْكُمْ إِنَّمَا رَفَعُوا الْقَوْمَ لَكُمْ هَذِهِ الْمَصَاحِفَ خَدِيعَةً وَهَنَا وَمَكِيدَةً فَرَدَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي وَقَلْتُمْ لَّا بَلَّ نَقَبْلُ مِنْهُمْ فَقُلْتُ لَكُمْ اذْكُرُوا قَوْلِي لَكُمْ وَمَعْصِيَتَكُمْ إِيَّايَ فَلَمَّا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْكِتَابَ اشْتَرَطْتُ عَلَى الْحَكَمِيِّينَ أَنْ يُحْيِيَ مَا أَحْيَاهُ الْقُرْآنُ وَأَنْ يُمَيِّتَا مَا أَمَاتَهُ الْقُرْآنُ فَإِنْ حَكَمَا بِحُكْمِ الْقُرْآنِ فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نُخَالَفَ حُكْمَ مَنْ حَكَمَ بِمَا فِي الْكِتَابِ وَإِنْ أَبَيَا فَنَحْنُ مِنْ

الصادقة ولا تضيعوها ولا تسمحوا للتزلزل أن يدخل قلوبكم من خلال كلمات المفتنين، «أمضوا على حقكم وصدقكم»، فإن طريقكم طريق الصدق. وإن خاصة مرحلة الفتنة - كما ذكرنا مراراً - هي أنها تثير الغبار وتعمي الأبصار بضبابها. حيث أن النخبة قد تبتلى بالخطأ والاشتباه. وهنا يلزم وجود المعلم والشاخص. والشاخص هو ذلك الحق والصدق والبيّنة المودعة عند الناس. وأمير المؤمنين يُرجع الناس إليها. واليوم نحن بحاجة إلى ذلك الشيء.

يقول لنا الإسلام أنه ينبغي إدارة وهداية المجتمع الإسلامي وفق قوانين الإسلام وكذلك تكون حياته. الإسلام يقول أنه ينبغي التعامل بقوة مع الأعداء المعتدين؛ وينبغي أن يكون هناك حدودٌ واضحة وشفافة معهم. الإسلام يقول لا تنظلي عليكم خدع الأعداء. وهذا هو الخط الواضح لأمير المؤمنين. فنحن اليوم بحاجة إلى هذا الخط الواضح.

وبالطبع فإن شعب إيران ببركة الثورة هو شعبٌ واع. والكثير من معضلات هذا البلد قد حلّت بفضل بصيرة هذا الشعب. وكثيراً ما يشاهد المرء أن جماهير الشعب ترى وتفهم الحقائق بشكل أفضل من بعض الخواص والنخب؛ وذلك لأن تعلقاتهم أقل. وهذه من النعم الكبرى. إخواني وأخواتي الأعزاء! اعلموا، وعلى شعب إيران كله أن يعلم، أن شعب إيران قد أظهر ثباته على طريق

حُكْمَهُمَا بَرَاءً قَالَ بَعْضُ الْخَوَارِجِ فَخَبَرْنَا أ تَرَاهُ عَدَلًا يُحْكَمُ الرَّجَالُ فِي الدِّمَاءِ فَقَالَ ع إِنَّا لَمْ نُحْكَمْ الرَّجَالَ إِنَّمَا حَكَمْنَا الْقُرْآنَ وَ هَذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ دَفْتَيْنِ لَا يَنْطِقُ وَ إِنَّمَا يَتَكَلَّمُ بِهِ الرَّجَالُ قَالُوا لَهُ فَخَبَرْنَا عَنِ الْأَجَلِ الَّذِي جَعَلْتَهُ فِيمَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُمْ قَالَ لِيَتَعَلَّمَ الْجَاهِلُ وَ يَتَنَبَّأَ الْعَالِمُ وَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصَلِّحَ فِي هَذِهِ الْهُدَى أَمْرٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ ادْخُلُوا مِصْرَكُمْ رَحِمَكُمُ اللَّهُ وَ رَحَلُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ.

التحرك باتجاه الأهداف والقيم الإسلامية الرفيعة، وسوف يحفظ ثباته هذا بتوفيق الله وفضله.

إن شعب إيران يريد أن يكون شعباً سعيداً مرفهاً يتحلى بالكمال والأخلاق والعزة والافتقار في ظل الإسلام. وقد تحرك هذا الشعب على هذا الطريق وتقدم وحقق إنجازات كبرى. وما تشاهدونه اليوم في وضعنا الحالي - هذه التطورات وهذه القدرات وهذه الإمكانيات العظيمة، مما هو من ثوابت وحتميات الشعارات الأساسية للثورة - لم يتحقق ببساطة؛ فشعب إيران قد أنجزها بقدراته وبصيرته وسوف يستمر على هذا الطريق بتوفيق الله. فالمستقبل لشعب إيران. وإن كيد الأعداء ومكر الأشرار لن يتمكن من ثني هذا الشعب عن المضي في طريقه، ولن يتمكن من حرفه عنه. إن بصيرة شبابنا اليوم بحمد الله بصيرة ممتازة. ففي الميادين المختلفة، إن شبابنا ينجزون أعمالاً كبرى؛ ويجب أن يزداد هذا الأمر يوماً بعد يوم. ينبغي أن يزداد ثبات القدم هذا وهذا الصمود وهذا التآلف والانسجام الوطني. ويجب أن يزداد يوماً بعد يوم هذا التمسك بالشعارات الإسلامية والتمسك بالقرآن والتمسك بسيرة أهل البيت عليهم السلام وبكلمات أمير المؤمنين.

وبمشيئة الله سي شاهد شبابنا ذلك اليوم الذي يشعر فيه الأعداء الغلاظ الظالمون على مستوى الدول والعالم أنهم لن يتمكنوا من فرض إرادتهم على شعب إيران. أعان الله شعبنا العزيز ومسؤولينا الحريصين وأهل الخدمة، حتى يقربوا بسعيهم المخلص هذا الهدف وبأعمالهم إن شاء الله، ذلك الزمان.

نسأل الله تعالى أن يحفظكم، وأن يؤيدكم وأن يؤجركم على هذا العناء الذي تجشتموه فقطعتم هذه المسافة الطويلة إن شاء الله. وأرسل لكل أهالي بوشهر الأعزاء أيضاً من خلالكم سلامي ومحبتي. وإن شاء الله يرضى الله عنكم ويفرح روح إمامنا العظيم المطهر بكم ونسأل الله أن يحشر شهداءنا الأعزاء وشهداء بوشهر الأعزاء مع أوليائهم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

